إثراء
المعارف الرقمية

بريد الجمعة

الأهرام بريد الجمعة

الجمعة ■ ٢٩ مارس ٢٠٠٢ ■

يكتبه : عبدالوهاب مطاوع

الخطوة الأولى!

أنتهز فرصة وجودي بمصر لكي «أخبرك» عن قصتي.. فأنا فتاة في العشرين من عمري ولدت بمصر وسافر أبي بنا إلي الولايات المتحدة وعمري ٧ سنوات. ولم يهتم بنا بعد ذلك أبدا ونسي كل شيء عني وعن شقيقي.. وهما اثنان أحدهما يكبرني بعام واحد والآخر بعامين. أما أمي فقد أصبح عملها وصديقاتها هي كل اهتماماتها. لهذا اهتم بنا أخي الاكبر وأخذ يعلمنا الصلاة، وكنا نصلي معاً ونذهب للمركز الاسلامي ونحفظ القرآن الكريم، وأصبحت لي صديقات متدينات كثيرات، وعندما أصبحت (١٥ عاما) بدأت تعلم اللغة العربية التي لم أكن أعرف عنها شيئا. وكنت أكره أبي وأمي جدا لكن أخي الأكبر أخبرني أن هذا حرام ويجب أن أبرهما.. وفي الولاية التي أقيم فيها مسلمون كثيرون، وهناك أيضا بعض الأمريكيين الذين حاولوا مضايقتي في المدرسة، لكن أخي كان معي دائما فلم يجرؤ أحد على التحرش بي.. وعندما ارتديت الحجاب أقامت لي صديقاتي حفلة لا أنساها أبدا في المركز الاسلامي.. وفي الأعياد كنا نصلي معا في المركز ونستمع إلي خطبة العيد الجميلة.. وكنت أعشق دائما منظر المسلمين وهم يتجمعون للصلاة، أما أبي وأمي «فكانوا» «يظلان» في المنزل «ولايصليان» أبدا وكنت وأخواي دائما نسألهم أن «يأتون» للصلاة فكانا «يرفضون» كأنما نسألهم الذهاب إلى الجحيم

وذات يوم رجعت مع الأخوين إلى البيت من صلاة الفجر فوجدت أبي وأمي «يتصايحون» بصوت عال وأشار لي أخي بألا ندخل.. وظللنا خارج البيت حتى انتهى الصياح وهممنا بأن ندخل فوجدنا أمي تدفع الباب بشدة وتخرج ثم تركب السيارة.. وحاولنا إيقافها لكنها لم ترد علينا وذهبت في طريقها ودخلنا البيت فوجدنا أبي يضع كفيه على وجهه ويبكي في صمت وعانقناه متسائلين، فقال لنا إن أمي على علاقة غير شرعية مع زميلها في العمل.. وأحسسنا بصدمة، وفقد أخي الأوسط وعيه، وقضينا أياما حزينة في المنزل، ولم نذهب أنا وأخي الأوسط إلى المدرسة، ولم يذهب أخي الاكبر إلى كليته، ولم يذهب أبي إلى المستشفى الذي يعمل به جراحاً.

وبعد حوالي أسبوعين حاول أبي وأخي الأكبر الاتصال بأمي فلم ترد عليهما، وبدلا من أن تعود إلى أسرتها طلبت الطلاق من أبي وقالت إنها سوف تذهب إلى القضاء، إذا لم يعطها الطلاق، فطلقها أبي وأحس بالانهيار وأصبح لون وجهه أبيض، فنقص وزنه كثيراً وشعرت بالحزن من أجله فخففنا عنه، وحصلوا على اجازة للراحة النفسية، ثم بدأ يذهب إلى المسجد وأصبح يستيقظ من النوم للذهاب لصلاة الفجر معنا.

وفي الأيام التي لا أصلي فيها شرعاً، كان يطرق على باب غرفتي ويسألني إذا كنت سأصلي فأخبره بأنني لن أصلي.. وأحسست أنني أحبه كثيراً، وكذلك أحس أخواي كما أحسسنا بأن حياتنا ستبدأ من جديد.. ثم التحقت بالجامعة وسط سعادة أبي والأخوين، وسافرنا إلى مصر وقضينا فيها شهراً جميلاً وقابلت أقاربنا الذين لم «نراهم» أبداً وأحبونا وأحبوا أبي.

وفي عيد من أعياد الفطر وأنا (١٩ سنة) ذهبنا للصلاة.. وتوجهت أنا إلى قاعة النساء، وأخبرني أخي الأوسط أنه متعب ولن ينتظر حتى يسمع الخطبة، وأنه بعد الصلاة سيجلس في السيارة. وعندما انتهت الصلاة فكرت في أن أذهب للسيارة وأسمع الخطبة من هناك حتى لايكون أخي وحيداً.

وعندما ذهبت إليه وجدته يقف خارج السيارة مع شاب أمريكي مسلم لا أعرفه لكني أعرف أن «الشابات» «يحبونه» جداً لأنه «قوي الايمان» و«قوي الحيا»، ومتفوق دراسياً.

ورآني أخي أنظر «اليهم» فأشار لي ثم أعطاني مفتاح السيارة لأنتظر فيها، وبعد قليل وجدت أبي وأخي الأكبر ووالد هذا الشاب الأمريكي يخرجون من المركز وودعوا «بعض» كأصدقا، «قديمون»، ورجعنا إلى المنزل وأخبرني أبي أنه يجب ألا أخرج لأن والد هذا الشاب ووالدته «قادمون» لزيارتنا بعد وقت قصير، ورأيت أخي الأكبر وأخي الأوسط «ينظرون» إلى أبي بطريقة غريبة ولم أفهم!

وبعد حوالي ساعتين جاءوا ونزلت لاستقبل أم الشاب واصطحبتها إلي غرفة الجلوس فأخذت تسألني عن حالي ودراستي.. وأخبرتني عن إبنها الوحيد وكيف دخلوا الاسلام منذ ٥ سنوات، وكانت عندها روح مرحة وقالت لي إن ابنها رآني مرتين أو ٣مرات ومعجب بي جداً ويريد أن يكمل نصف دينه! فشعرت بإحساس غريب لأني كنت أنوي أن أتزوج عربيا أو مصرياً.. وهذه أسرة أمريكية، فأخذت أنظر للأرض وأنا لا أعرف ماذا أقول، فقالت لي الأم الا أقلق واصطحبتني إلى الخارج ليراني ابنها فلم ينظر لي سوى مرة واحدة وكان وسيما جداً ويتكلم بصوت هامس ووجهه يشع ضوءاً وعمره ٢٣ سنة.. واصطحبني أبي إلى غرفة جانبية وسألني عن رأيي فظللت صامتة فترة ثم ابتسمت.. فعانقني أبي وقبلني وخرج وقضى الضيوف معنا ٣٠ دقيقة وراح والد الشاب وهو جراح زميل لأبي ورجل محترم يتكلم معي مثل إبنته ثم خرجوا وبدون أي كلمة عانقني أخواي بجنون! و«أخذوا» «يتحدثون» عن الشاب وعن خلقه.

وبعد ذلك بيومين جاء الشاب ومعه خاتم الخطبة وقدمه لي وبدأ يتردد على المنزل عندما يكون أخواي أو أبي فيه ويأتي بهدايا تسعدني دائما.

وفي الشهر قبل الماضي طلب الزواج واشترى لي بيتا جميلا في نفس الولاية واصطحبتني أمه لشراء فستان الزفاف الأبيض الجميل وأقامت لي صديقاتي حفلا جميلا. وكان يوم الزفاف في المركز الاسلامي يوما جميلا وأعطاني أبي خاتما ماسيا كان لأمه وقال إنه غال عليه لأن أمه غالية عليه، وبكى أخواي عند الفراق، ثم ذهبت مع زوجي إلى المنزل فوجدت هدايا كثيرة من أبي وأخي وأخي وأقاربي في مصر وصديقاتي وأصدقاء زوجي، وأخبرني زوجي أن أمامي ساعة لكي أعد حقيبة سفري، لأننا سنقضي أسبوعين في إحدى «الجزيرات» المشهورة، وأنه أخبر أبي بذلك، ففعلت وسافرنا ووجدت زوجي حنونا رقيقا ويحبني جدا أكثر مما كنت أظن، وبعد أن عدت من الاجازة الرائعة اهتم بي وبدراستي وأخذ يساعدني ويعينني أعانه الله على الخير ويسأل عني الأساتذة دائما ويتذكر عيد ميلادي ويحضر لي الهدايا وأحضر له أنا هدايا من الكتب الاسلامية أوالعطور لأنه يحب ذلك.. وسألته هل هناك مشكلة في أنني (١٩ سنة) فقط فقال لي إنه يحبني على هذا الحال... ولم يتزوجني إلا لأنه يحبني وأنني سرقت قلبه وجعلته لا ينام ، فضحكت على ذلك، لأن زوجي يبالغ كثيرا في تأثير سحري عليه، ووجدته صديقا لأخوتي جداً وباراً بأبي ورفيقا في معاملاته، ويوقظني كل يوم لصلاة الفجر، ويعرف متى يداعبني ومتى يتوقف ومتى يمزح ومتى لا يمزح وأحببت أنا «أبوه» وأمه جداً.

ونحن الآن في مصر لأنه أراد أن يقابل أقاربي الذين أحبوه جداً، إنني أعشقه بمرور الأيام وأجد كل يوم ما يقربني منه، لقد كانت حياتي سيئة غريبة، والآن هي حياة رائعة، وأقول لكل من عاني من أي شيء في حياته إن المولى لاينسى أحدا أبداً، وأرجو ألا تكون لغتي العربية السيئة قد أغضبتك وأتمنى أن توجه كلمة لزوجي أترجمها له وجزاك الله خيرا.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

كلما ازداد استعدادنا للعطاء.. ازداد ما نحصل عليه من فرص السعادة والنجاح في الحياة. هكذا قال صادقا ذات يوم الأديب البرازيلي الحكيم باولو كويلو.. وهكذا تثبت لنا تجربة الحياة في كثير من الأحيان. وفي قصتك الجميلة هذه التي سعدت بها، واشكرك على تجشمك عناء «إخباري» بها بالرغم من حداثة عهدك بتعلم اللغة العربية والأخطاء اللغوية العابرة التي يمحو أثرها طهر الاحاسيس وصدق المشاعر، فلقد كان «العطاء» ايضا هو تميمة الحظ السعيد في حياتك.. والخطوة الأولى الموفقة في ارتباطك بهذا الشاب الوسيم الملتزم دينيا وأخلاقيا، والذي تحبه «الشابات» كثيرا لإيمانه وحيائه وتفوقه الدراسي فلقد أشفقت ياسيدتي الصغيرة على شقيقك الأوسط من أن يبقى في سيارة الأسرة وحيدا خلال خطبة العيد في ذلك الصباح القريب، فغادرت المركز الاسلامي قبل سماعها لتنضمي إليه وتؤنسي وحدته.. فكان هذا العطاء الأخوي البسيط الذي لا يكلفك شيئا كثيرا.. ويعكس في نفس الوقت دفء مشاعرك العائلية، هو بداية السعادة والتوفيق في حياتك الزوجية بإذن الله... ورآك ذلك الشاب الأمين للمرة الثانية أو الثالثة وأسره جمال روحك واحتشام مظهرك.. وعمق التزامك الخلقي والديني.. وتأكد ربما في تلك اللحظة فقط من صدق رغبته فيك.. وحسن اختياره لك، فحسم أمره بشأنك وفاتح أبويه بقراره، وبدأت أول فصول هذه القصة السعيدة، ولو لم تستجيبي لدفء مشاعرك الأخوية في ذلك الصباح وتخرجي للحاق باخيك الأوسط أمام المركز لربما كانت السعادة التي ترصدتك بجوار سيارة الأسرة قد تأجلت إلى فرصة أخرى.. أو لربما كانت أقدار هذا الشاب قد ساقته للاعجاب بشابة أخرى من المترددات على هذا المركز والارتباط بها.

لكن هكذا شاءت السماء أن تكافئك على طهر مشاعرك الأخوية وصدق التزامك الخلقي وتعوضك عن أحزان السنوات الماضية واهتزاز كيان الأسرة بانسحاب الأم من حياة أبنائها وإيثارها لسعادتها الشخصية على سعادة هؤلاء الأبناء وأمانهم.

فإذا كان في قصتك ما يستحق الأسف له حقا إلى جوار تهدم بنيان الأسرة بالخيانة الزوجية والطلاق، فهو أن تجرى كل فصول تعرفك على هذا الشاب الأمين وخطبتك له واستعدادك للزواج منه في غياب من كانت تفرض عليها أمومتها لك أن تكون إلى جوارك في هذا الموقف المصيري، لترعى خطاك وتشير عليك بما فيه صلاح أمرك وأنت تبدئين حياتك الجديدة.

لكنه لا عجب في أن تغيب عنك أمك في مثل هذا الموقف، وقد تخلت عن حياتها العائلية كلها اتباعاً لهواها.. ولا عجب أيضا في أن تكون هذه المحنة الشخصية هي الشرارة التي فجرت المشاعر الأبوية الخامدة في قلب أبيك تجاهك وتجاه أخويك، فرجع إلى احتضانكم جميعاً من جديد وازداد اقترابا منكم بعد طول انشغال عنكم بأمور الحياة، وعرف طريق الالتزام الديني، وعوض بعودته للحضور المكثف في حياتكم غياب الأم وافتقاد دورها...

غير أن هناك أيضا من يستحق التحية أكثر في هذه القصة وهو شقيقك الأكبر الذي قام بدور الأب الراعي والعطوف في حياتك وحياة أخيك الأوسط حين كان الأبوان مشغولين بدنياهما عن شئون بيتهما وأبنائهما وعائلتهما، فحماكما بذلك من كثير من الشرور وحفظ عليكما هويتكما، وقاد خطاكما إلى طريق الالتزام الخلقي، مما رشحك في النهاية للسعادة الزوجية والأمان.. فأما زوجك الأمين فإني أقول له فقط: إن الحياة الفاضلة الآمنة المعطرة بعطر الحب والوفاق والتراحم والمودة التي اخترتها لنفسك هي الطريق حقا إلى السعادة في الأرض والسماء.

كما أن الزوجة الصالحة التي ترعى حدود ربها وتحفظ زوجها في السر والعلن، هي خير جائزة تمنحها السماء للانسان في رحلة الحياة.

ولابد أن يرشحك كل ذلك للنجاح وتحقيق كل ما تصبو إليه من أهداف الحياة بإذن الله.